المدرسة القرآنية ودورها في تكوين جيل الثورة التحريرية (الشهيد سي محمد رايس أنموذجا).

أ/ أحمد طهراوي
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

في البداية أشكر الإخوة والأخوات الذين سعوا من أجل تنظيم هذا الملتقى وعملوا على إنجاحه .

أيها الإخوة والأخوات الحضور السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، في البداية تحية طيبة للسيدات والسادة الضيوف، وللزميلات والزملاء الأساتذة ولأبنائنا الطلبة .

باختصار ستكون مداخلتي هذه بعنوان : المدرسة القرآنية ودورها في تكوين جيل الثورة التحريرية، 1954-1962 .الشهيد سي محمد رايس أنموذجا.

إن الاستعمار الفرنسي الغاشم الذي ابتليت به الجزائر لم يكن ذاطابع عسكري فقط بل كان ذا طابع ديني ثقافي اقتصادي كذلك .فبعد استيلائه على الأرض بدأ يتجه نحو الغزو الثقافي والديني وذلك قصد طمس الهوية الثقافية والدينية للمجتمع الجزائري وإحلال محلها ثقافة المسخ والدمار الفرنسية، وتمثل ذلك في البداية في الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية وإعلان الحرب على المؤسسات الدينية الإسلامية المتمثلة في الزوايا والكتاتيب والمدارس القرآنية الموجودة آنذاك على الساحة الوطنية .ولم يكتف بذلك بل وصلت به الدناءة إلى نبش المقابر واستخدام عظام الموتى المسلمين الجزائريين كمادة أولية في المصانع الفرنسية، والقيام بحرب إبادة في حق الجزائريين، وتحريف القضاء لفرض السيادة الفرنسية على الشعب الجزائري .

لقد استعمل الاستعمار الفرنسي كل الطرق التي تمكنه من نهب واستغلال ثروات الجزائر وربطها بالنظام الرأسمالي الفرنسي لجعلها سوقا لتصريف منتجاته ومصدرا لتزويدمصانعه بالمواد الأولية .

كما عمل على تأخرها وتبعيتها له مستعملا كل آليات النظام الرأسمالي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من أجل نشر وترسيخ القيم والسلوكات التي تعمل على فرنسة الإنسان الجزائري من جانب، وطمس وتشويه معالم شخصيته وهويته من جانب آخر، وذلك من خلال محاربة الدين الإسلامي واللغة العربية واستبدالها باللغة الفرنسية بالتركيز على التعليم وسياسته التي لم يكن الهدف منها هو تثقيف الجزائريين وتحسين مستواهم العلمي، بل كان الهدف هو تجهيل الجزائريين إلى جانب تفقيرهم وتعليم أقلية مفرنسة تكون في خدمته، إذ يقول أحدهم، وهو سولفت في تقرير له سنة 1846 بطلب من مكتب إدارة مدرسة الجزائر الفرنسية آنذاك :(إن الهدف من التعليم الفرنسي في الجزائر هو إمداد الإدارة الفرنسية بمترجمين ومساعدين مهرة).

وتجاه هذه السياسة الاستدمارية للاستعمار وفي كل المجلات تصدى لها الشعب الجزائري بالمقاومة والجهاد من جانبين، جانب المقاومة العسكرية أي القيام بثورات متتالية منذ أن وطئت أقدام المستعمر أرض الجزائر الثائرة إلى أن خرج منها مذؤوما مدحورا .بداية من مقاومة وجهاد الأمير عبد القادر بن محي الدين مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة والتي دامت حوالي 17 سنة، وانتهاء بالثورة التحريرية 1954- 1962 التي انتهت بالاستقلال الوطني واستشهد خلالها أكثر من مليون ونصف مليون شهيد رحمهم الله .

والجانب الثاني هوا لمقاومة الثقافية للحفاظ على الهوية الوطنية بما فيها الدين الإسلامي واللغة العربية والعادات والتقاليد التي كان يتميزبها الشعب الجزائري المسلم .وقد تمثل ذلك في الحفاظ على وإنشاء الكتاتيب والزوايا والمدارس القرآنية التي لعبت دورها الرائد في الحفاظ على الهوية

الوطنية الجزائرية وعلى المقومات، حيث قامت بتكوين رجال الدين والمثقفين ورجال السياسة الوطنيين الذين كان لهم باع طويل في مجال السياسة والتعليم وفي الجهاد ضد العدو المحتل من أجل تحرير الوطن .

فمع الانطلاقة الأولى لثورة الحرير المباركة سنة 1954 هب الكثير من طلبة القرآن للالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني، والذين لم يلتحقوا كانوا يشكلون الاحتياطي لصفوف المجاهدين، يقومون بمهام مدنية لخدمة الثورة التحريرية، كالقيام بمهمة الاتصالات بين المراكز والأقسام وجمع الأموال ونشر الوعي بين المواطنين ورصد تحركات العدو .حيث لانجد من بين الزوايا والكتاتيب والمدارس القرآنية من لم يستشهد من بين طلابها الكثير تحت الراية الوطنية، لأنهم كانوا متشبعين بالروح الوطنية ويعرفون معنى الجهاد في سبيل الله من أجل تحرير الوطن من يد المحتل الغاشم .ومن بين هؤلاء الشهداء الأبرار رحمهم الله نجد الشهيد البطل سي محمد رايس .فمن هو الشهيد سي محمد رايس ؟.

الشهيد سي محمد رايس هو حفيد الشيخ العلامة سي الحاج علي الحضري .ولد في 13 -03 1931 بقرية اولاد بن زيان ببلدية جليدة ولاية عين الدفلى، وسط عائلة محترمة محافظة .نشأ بين أحضان والديه، وتعلم القرآن وحفظه في زاوية جده سيدي الحاج علي الحضري ثم انتقل إلى زاوية الشيخ سيدي بن احمد ببوراشد لإتمام دراسته في علوم الشريعة .

لقد كان هذا البطل يتسم بالأخلاق الحميدة ورزانة العقل، كان شجاعا يتميز بالوعي والذكاء وبعد النظر، يحب العلم والعلماء والسياسيين الوطنيين، يتطلع إلى المعالي السامية لمعرفة حقائق الوطن وأسباب تسلط المستعمر الغاشم عليه .كما كان يتألم لمظاهر البؤس والشقاء التي كان يعاني منها أبناء وطنه .ففي عنفوان شبابه استطاع أن يكتسب خبرة واسعة مكنته من ممارسة النشاط السياسي في حركة انتصار الحريات الديمقراطية وهو في سن مبكرة منذ سنة 1948 أي كان عمره آنذاك لايتجاوز 18 سنة ضمن عدد

من المناضلين الذين كانوا ينشطون بخميس مليانة ومليانة وعرش اولاد الشيخ وهراوات وأهل الوادوعين الدفلى وبوراشد ودحمان ومدينة الروينة والمخاطرية وقرية تغليسة أين كان يلتقي المناضلون بمسؤولي الحركة الوطنية الذين نجد من أبرزهم العقيد سي محمد بوقرة وسي مصطفى فروخي وسي قسوم مولوج وسي بخدة سي لحسن وسي البغدادي، سي بواشري، سي محمد بوزار وسي بنميرة حسني وغيرهم الكثير.

وفي سنة 1950 أجبر سي محمد على تأدية الحدمة العسكرية في الجيش الفرنسي كغيره من الشبان الجزائريين، فكانت له تلك الخدمة العسكرية فرصة تعلم فيها فنون الحرب والقتال والتعرف على أنواع الأسلحة .ونظرا لحيويته ونشاطه قلده الجيش الفرنسي رتبة ضابط صف، إلا أنه رغم وجوده في الجيش الفرنسي لم يقطع اتصالاته برفاقه في النضال، بل كان يراسلهم ويزودهم بالمعلومات الضرورية كلما سنحت الفرصة بذلك، كما كان يقوم من جهة أخرى بدور مهم في أوساط الجزائريين الذين كانو مجندين في الجيش الفرنسي، حيث كان يساهم في توعيتهم وإحساسهم بالقضية الوطنية وبعد إتمام سي محمد الخدمة العسكرية الإجبارية عاد للعمل في الحياة المدنية حيث مارس التجارة في المواد الغذائية بقرية اولاد بن زيان، وهناك استأنف نشاطه السياسي وجعل من دكانه مقرا يلتقي فيه رؤساء خلايا المناضلين الممثلين للمدن والقرى المجاورة .

لقد ناضل سي محمدبدون كلل ولا ملل، حيث كان من المشرفين على تكوين الأفواج الأولى لوحدات المجاهدين من سكان المدن والقرى والمداشر بمنطقة جبال عمرونة والمداد ودوي وجبل اللوح حتى الونشريس والزكار .وفي أواخر سنة 1955 بعد هيكلة الوحدات المسلحة للمجاهدين أسندت له قيادة فصيلة قتالية، ثم رقي إلى قائد عسكري بالناحية الرابعة، ثم إلى سياسي عسكري بنفس الناحية، ثم أسندت له قيادة كومندو جمال التابع للمنطقة الثالثة من الولاية الرابعة .

وأثناء توليه لتلك المهام خطط البطل سي محمد رايس للعديد من العمليات وخاض هو ورفاقه كثيرا من المعارك ضد الجيش الفرنسي وعملائه بالمنطقة وخاصة ضد جيش قبيس العميل لفرنسا لقنوا للعدو من خلالها دروسا في الحرب، وكبدوهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد وغنموا منهم الأسلحة المختلفة . نذكر من بين المعارك الشاهدة على ذلك معركة سيدي مبارك، وعملية جمعة اولاد الشيخ، والكثير من الكمائن والاشتباكات التي وقعت بين سي محمد ورفاقه وبين العدو الفرنسي وعملائه .

ظروف استشهاده. قبل أن يلتحق سي امحمد بالمهمة التي أسندت له كقائد سياسي عسكري للمنطقة الأولى بالولاية الرابعة في يوم 08 جوان 1958 كان موجودا بقرية دوايجي في المكان المشيد عليه نصبه التذكاري حاليا،فوجئ بقوات كبيرة من جيش العدو الفرنسي تحاصره من كل الجهات، فلم يبق له خيار سوى مواجهة المعركة والقتال، فقاتل ببسالة وشرف إلى أن سقط شهيدا في ميدان الشرف، رحمه الله ورحم جميع شهدائنا الأبرار.

أيها الحضور الكريم، أيها السادة والسيدات، أبناءنا الطلبة وبناتنا الطالبات . إن المطلوب منا اليوم هو الوفاء بالعهد لشهدائنا الأبرار،لتبقى الجزائر حرة مستقلة، ولا شك أن العهد كان ولا يزال مسؤولا، ومن الواجب على الأجيال أن تفي بعهد الأبطال الذين استشهدوا لنحيى ولتعيش الجزائر حرة مستقلة .نسأل الله وإياكم جميعا الرحمة لشهدائنا الأبرار،وأن يسكنهم فسيح جنانه، ويجازيهم عنا وعن الجزائر كل خير .والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.